دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	حقل تحليل الخطاب
المصدر:	فصول
الناشر:	الهيئة المصرية العامة للكتاب
المؤلف الرئيسي:	يورجنسن، ماريان
مؤلفين آخرين:	فيليبس، لويز، إمام، السيد(م. مشارك، مترجم)
المجلد/العدد:	ع97
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	خريف
الصفحات:	211 - 228
رقم MD:	774522
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الادب الإنجليزي، الادباء الإنجليز، الدراسات الادبية، النقد الأدبي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/774522

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

حقل تحليل الخطاب

ماريان يورجنسن (•) / لويز فيليبس (••) ترجمة: السيد إمام (•••)

لقد أصبح "الخطاب" مصطلحاً واسع الانتشار لما لا يقل عن عشر سنوات الآن. إنه يستعمل في النصوص والمناقشات العلمية دون تمييز، وغالباً دون تحديد. لقد بات المفهوم غامضاً وملتبساً، لا يعني أي شيء تقريبا، او يستعمل بمعان أكثر دقة ولكن مختلفة إلى حد ما في سياقات مختلفة. وفي حالات كثيرة، تكمن خلف مصطلح "خطاب" الفكرة العامة بأن اللغة تبنى وفقاً لأنماط مختلفة تتبعها منطوقات البشر عندما ينخرطون في مجالات مختلفة من الحياة الاجتماعية، ومن نماذجه المألوفة "الخطاب الطبي" و"الخطاب السياسي". و "تحليل الخطاب" هو تحليل هذه الأنماط.

غير أن هذا التعريف الشائع لا يفيدنا كثيراً في توضيح ماهية الخطابات، كيف تؤدي وظيفتها، أو كيف نحللها. ومن ثم، تعين علينا البحث عن نظريات ومناهج أكثر تطوراً لتحليل الخطاب. وعند البحث، نكتشف سريعاً أن تحليل الخطاب ليس مجرد مقاربة واحدة، وانما سلسلة من المقاربات متداخلة الاختصاصات يمكن استعمالها لاكتشاف مجالات اجتماعية كثيرة في أنماط مختلفة عديدة من الدراسات. ولا يوجد اتفاق واضح حول ماهية الخطابات ولا كيفية تحليلها. إن منظورات مختلفة تقدم مقترحاتها وتتبارى، إلى حد ما، للتوفيق بين مصطلح "الخطاب و"تحليل الخطاب" وتعريفاتهما الخاصة. دعنا نبدأ مع ذلك باقتراح التعريف الأولي للخطاب بوصفه طريقة خاصة للحديث عن العالم (أو أحد جوانبه) وفهمه.

سوف نقدم في هذا الفصل ثلاث مقاربات مختلفة للتحليل البنائي الاجتماعي للخطاب social constructionist discourse analysis– نظرية إرنستو. لوكلاو Laclau وشانتال ميف Mouffe، والتحليل النقدي للخطاب، وعلم النفس الخطابي... وتشترك النظريات الثلاث في منطلق أن طرق كلامنا لا تعكس عالمنا، وهوياتنا وعلاقاتنا الاجتماعية على نحو حيادي، وإنما بالأحرى تلعب دوراً فعالاً في خلقها وتغييرها. لقد انتقينا هذه المقاربات من مجال يضم منظورات مختلفة داخل تحليل الخطاب لاعتقادنا أنها تمثل نظريات ومناهج مثمرة على وجه الخصوص بالنسبة للبحث في التواصل، والثقافة، والمجتمع. ويمكن تطبيقها في تحليل مجالات اجتماعية مختلفة كثيرة تشمل منظمات ومؤسسات، وفي اكتشاف دور استعمال اللغة في تطورات مجتمعية وثقافية عريضة مثل العولمة وانتشار وسائل التواصل الجماهيرية.

دعنا نقدم بعض الأمثلة على الاستعمالات الممكنة لتحليل الخطاب. على سبيل المثال، يمكن استعماله بوصفه إطاراً لتحليل الهوية القومية. كيف يمكننا فهم الهويات القومية وما هي تبعات تقسيم العالم إلى دول قومية؟ يمكن انتقاء أشكال عديدة من النصوص والأحاديث لتحليلها. ويمكن أن ينصب التركيز، على سبيل المثال على البناء الخطابي للهوية القومية في كتب النصوص التي تدور حول التاريخ البريطاني. وبدلاً من ذلك، يمكن أن يقع اختيارنا على استكشاف دلالة الهوية القومية بالنسبة للتفاعل بين البشر في سياق تنظيمي مثل مكان العمل. وموضوع آخر للبحث يمكن أن يكون السبل التي تنتقل بها المعرفة

(•) أستاذ مساعد الثقافة ووسائل الإعلام، جامعة ليشوبينج، السويد

(••) أستاذ مساعد التواصل وإدارة الأعمال، جامعة روسكيد، السويد

(•••) مترجم مصري.

المتخصصة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية والآثار المتعلقة بأسئلة السلطة والديمقراطية. كيف تؤسس دعاوي المعرفة المتخصصة ويطعن في صحتها في وسائل الإعلام الجماهيرية وكيف "تستهلك" دعاوي المعرفة المتصارعة بواسطة جمهور وسائل الإعلام الجماهيرية؟ إن الصراع بين دعاوي المعرفة المختلفة يمكن فهمه واستكشافه تجريبياً بوصفه صراعاً بين خطابات مختلفة تمثل طرقا عديدة لفهم جوانب العالم وتأسيس هويات مختلفة للمتكلمين (مثل "المتخصص" والشخص العادي).

إن المقاربات الثلاث التي اخترنا أن تكون بؤرة اهتمامنا بوصفها أطراً لتحليل الخطاب تشترك في مقدمات منطقية أساسية حول كيفية فهم كينونات مثل "اللغة" و"الذات". كما أنها تشترك في هدف إنجاز البحث النقدي، بمعنى، فحص وتحليل علاقات السلطة في المجتمع وصياغة منظورات معيارية يمكن على أساسها إنجاز نقد لتلك العلاقات مع الأخذ بعين الاعتبار إمكانات التغيير الاجتماعي. وفي الوقت ذاته، يمتلك كل منظور نطاقاً من المقدمات المنطقية الفلسفية والنظرية، التي تتضمن أشكالا خاصة من فهم الخطاب، والممارسة والنقد الاجتماعي، بما في ذلك أشكالاً خاصة لفهم الخطاب، تؤدي إلى أهداف ومناهج ونقاط اتصال خاصة. والهدف من هذا الفصل التمهيدي هو تقديم ملخص حول الحقل الذي تنتمي إليه مقاربات البنائية الاجتماعية لتحليل الخطاب [1]. ونحن مهتمون بتلك الجوانب التي تشترك فيها كل المقاربات – وعلى وجه الخصوص، تلك التي تشترك فيها مقارباتنا الثلاث –وبتلك الجوانب التي تتشعب على أساسها تلك المقاربات.

إن المقاربات يشبه بعضها البعض من حيث منطلقها البنائي الاجتماعي، ومن حيث نظرتها للغة، وصدورها عن اللسانيات البنيوية وما بعد البنيوية، ومن حيث فهمها للفرد المؤسس على إحدى نسخ الماركسية البنيوية. وسوف نقدم في هذا الفصل هذه الجذور والمصادر المشتركة للإلهام النظري، وفي غضون ذلك سوف نتطرق لسلسلة من المفاهيم –مثلاً، "السلطة" و"الأيديولوجيا" التي تصاحب في الغالب مفهوم الخطاب.

ورغم المقدمات المنطقية المشتركة، توجد اختلافات مهمة بين المقاربات. أولاً، هناك عدم اتفاق فيما يتعلق بـ "مجال" الخطابات: هل تشكل (الخطابات) الاجتماعي بالجملة، أم أنها هي ذاتها مشكلة جزئياً بفعل جوانب أخرى للاجتماعي؟ ثانياً، تختلف المقاربات أيضا فيما يتعلق بمركز تحليلها. إن البعض يحلل خطاب البشر في التفاعل الاجتماعي اليومي، ويفضل الآخرون رسما تجريديا لخريطة الخطابات المتداولة في المجتمع. وسوف نقوم بتوضيح نقاط الاختلاف هذه بالقرب من نهاية هذا الفصل.

وسوف يفهم تقسيم هذا الحقل إلى ثلاث مقاربات بينها تشابهات واختلافات إلى حد ما بوصفه ترتيباً خاصاً بنا. لقد اخترنا المقاربات الثلاث وقررنا ان نفرد فصلاً واحداً لكل مقاربة لكي نقارنها ونضع كل واحدة منها مقابل الأخرى في الفصل الخامس، ولكي نطرح مقدمة واضحة لحقل تحليل الخطاب. ولا يتعين اعتبار هذا التمثيل وصفا محايداً أو انعكاسا شفافا للحقل. وفيما يتعلق باختيارنا للمقاربات، فإننا نغطي فقط ثلاث مقاربات داخل حقل تحليل خطاب البنائية الاجتماعية، مستبعدين، على سبيل المثال، المقاربة الفوكوية[2]. وبالنسبة لما نراه من تطابق نقاط الاتفاق والاختلاف بين المقاربات الثلاث، نعترف أن المقارنة بين تلك المقاربات لا ينم عن ممارسة دقيقة. إن المقاربات الثلاث تصدر عن اختصاصات مختلفة ولها خصائصها المميزة الخاصة بها. وفي الوقت ذاته، يعمل كثير من محللي الخطاب عبر حدود تخصصية، وتوجد نقاط نظرية وأدوات منهجية عديدة لا يمكن نسبتها حصريا إلى مقاربة واحدة بعينها.

حزمة كاملة

على الرغم من إمكانية استخدام تحليل الخطاب في كل مجالات البحث، فمن غير الممكن استعماله في كل مناحي الإطار النظري، ولا يمكن استعماله بالقطع بوصفه أسلوباً للتحليل منفصلاً عن أسسه النظرية والمنهجية. إن كل مقاربة نقدمها لتحليل الخطاب ليست مجرد طريقة لتحليل المعطيات، بقدر ما هي كل نظري ومنهجي –حزمة كاملة. وتضم هذه الحزمة، أولاً: مقدمات منطقية فلسفية (أنطولوجية وإبستيمولوجية) تتعلق بدور اللغة في البناء الاجتماعي للعالم، ثانياً: نماذج النظرية، ثالثاً: توجيهات منهجية حول كيفية مقاربة مجال للبحث، ورابعاً، تقنيات بعينها للتحليل. إن النظرية والمنهج في تحليل الخطاب متضافران ويجب على الباحثين قبول المقدمات المنطقية الفلسفية الأساسية لكي يتسنى لهم استخدام تحليل الخطاب طريقة للدراسة الإمبريقية.

ومن الأهمية بمكان التركيز على أنه في الوقت الذي يجب فيه على الحزمة أن تشكل كلا متكاملاً، فإن بوسع المرء أن يخلق حزمته الخاصة به عبر دمج عناصر من منظورات تحليلية مختلفة للخطاب ومنظورات تحليلية غير خطابية إذا لزم الأمر. إن مثل هذا العمل متعدد المنظورات ليس مسموحاً به فقط، وإنما يكون موضع تقدير إيجابي في معظم أشكال تحليل الخطاب. وتتأسس هذه النظرة على أن منظورات مختلفة تقدم أشكالاً مختلفة من المعرفة حول إحدى الظواهر حتى يتسنى لها معا تقديم فهم أكثر اتساعاً. إن عملاً متعدد المنظورات يتميز عن انتقائية تتأسس على خليط من المقاربات المتضاربة دون تقدير جاد لعلاقتها ببعضها البعض. إن التعددية المنظورية تقتضي مضاهاة المقاربات للمفاضلة بينها وتحديد أيها أكثر أهمية، والتعرف على أي نوع من المعرفة (المحلية) يمكن أن تقدمه كل مقاربة، وتعديل المقاربات على ضوء هذه الاعتبارات [3].

ولكي نؤسس إطاراً متماسكاً، فإن من المهم أن نكون على علم بالاختلافات الفلسفية والنظرية والمنهجية وبالتشابهات بين هذه المقاربات. ومن الواضح أن هذا يتطلب نظرة عامة للحقل. إن الهدف من تقديمنا للمقاربات الثلاث في الفصول الثلاثة القادمة هو الإسهام في اكتساب هذه النظرة العامة بواسطة الملامح الأساسية لثلاثة مقاربات تحليلية مهمة للخطاب بالإضافة إلى الموضوعات المركزية في المناقشات الأكاديمية حول هذه الملامح. وفضلاً عن ذلك، سوف نقدم مراجع واقتراحات شاملة لقراءات أبعد.

مقدمات منطقية أساسية

إن المقاربات الثلاث التي اخترنا التركيز عليها تتأسس جميعاً على البنائية الاجتماعية [4]. إن البنائية الاجتماعية بمثابة مصطلح جامع لنطاق من النظريات الجديدة حول الثقافة والمجتمع [5]. إن تحليل الخطاب مجرد أحد المقاربات العديدة للبنائية الاجتماعية، ولكنه أحد أكثر المقاربات المستخدمة على نطاق واسع داخل نطاق البنائية الاجتماعية [6]. وفضلا عن ذلك، يستخدم الكثيرون المقاربات التي تمتلك نفسها الخصائص / التي يمتلكها تحليل الخطاب دون تعريفها على هذا النحو. وسوف نقدم أولاً باختصار الخطوط العريضة للافتراضات الفلسفية العامة التي تشكل جزءاً من أساس المقاربات التحليلية للخطاب، اعتماداً على بيانات البنائية الاجتماعية التي قدمتها فيفيان بير، وكينيث جيرجن (1935). ثم نركز بصفة خاصة على الافتراضات المتعلقة باللغة والهوية التي تضمها كل المقاربات التحليلية للخطاب.

إن بير Burr (2: 1995) تحذر من صعوبة تقديم وصف واحد يحاول أن يغطي كل المقاربات البنائية الاجتماعية، بسبب تشعبها وتنوعها. ومع ذلك، تدرج بير (2: 1995) أربع مقدمات منطقية تشترك فيها كل المقاربات البنائية

الاجتماعية، تأسيساً على جيرجن Gergen (1985). وهذه المقدمات المنطقية شملتها أيضا مقارباتنا الثلاث، وهي كالتالي (7):

مقاربة نقدية لمعرفة مسلم بها

إن معرفتنا بالعالم يجب ألا تعامل بوصفها حقيقة موضوعية. إن الواقع يتاح لنا من خلال التصنيفات فقط، ومن ثم فإن معرفتنا وتمثيلاتنا للعالم ليست انعكاسات للواقع "هناك"، وإنما هي بالأحرى نتاج طرائقنا في تصنيف العالم، أو، بلغة تحليل الخطاب، نتاج الخطاب (Burr 1995:3; Gergen 7- 1985: 266). وسوف نقدم لاحقاً توضيحاً أكثر تفصيلاً لهذه المقدمة المنطقية.

- الخصوصية التاريخية والثقافية (Burr 1995: 3) نحن كائنات تاريخية وثقافية بالأساس ونظرتنا للعالم ومعرفتنا به، هي "ناتج التبادلات القائمة تاريخياً بين البشر" (Gergen 1985: 267). وبالتالي، تكون الطرق التي نفهم بها العالم ونقوم بتمثيله محددة ومشروطة تاريخياً وثقافياً: كان يمكن لوجهات نظرنا عن العالم وهوياتنا أن تكون مختلفة، ويمكنها أن تتغيير عبر الزمن. إن هذه النظرة التي تقوم على أن كل المعرفة مشروطة موقف ضد- تأسيسي يتعارض مع وجهة النظر التأسيسية بأن المعرفة يمكن تأسيسها على قاعدة ميتا نظرية صلبة تتعالى على الأفعال الإنسانية المشروطة. إن الخطاب شكل من أشكال الفعل الاجتماعي الذي يلعب دوراً في إنتاج العالم الاجتماعي - الذي يشمل المعرفة، والهويات والعلاقات الاجتماعية – ومن ثم في الاحتفاظ بأنماط اجتماعية محددة. وهذه نظرة ضد-تأسيسية: إن كون العالم الاجتماعي مبنى اجتماعياً وخطابيا يدل ضمناً على أن طابعه ليس معطى سلفاً أو محدداً بشروط خارجية، وأن البشر لا يمتلكون مجموعة من الخصائص أو الماهيات الثابتة والأصيلة.
- الصلة بين المعرفة والسيرورات الاجتماعية

إن طرق فهمنا للعالم يتم خلقها والاحتفاظ بها عبر السيرورات الاجتماعية (Burr 1995:4; Gergen 1985: 268). إن المعرفة تنشأ بفعل التفاعل الاجتماعي الذي نؤسس فيه الحقائق المشتركة ونتساجل حول ما هو حقيقي وما هو زائف.

- الصلة بين المعرفة والفعل الاجتماعي

في إطار وجهة نظر خاصة للعالم، تصير بعض أشكال الفعل طبيعية، وأخرى مستحيلة. إن أشكال الفهم الاجتماعية المختلفة تؤدي إلى أفعال اجتماعية متنوعة، ومن ثم يكون للبناء الاجتماعي للمعرفة والحقيقة نتائج اجتماعية (Burr 1995:5; Gergen 1985:268-269).

لقد جادل بعض نقاد البنائية الاجتماعية أنه إذا تم التسليم بأن المعرفة وكل الهويات الاجتماعية مشروطة، فسوف يترتب على ذلك أن يكون كل شيء في حالة تدفق وعدم وجود أي قيود أو انتظامات في الحياة الاجتماعية. ويوجد بكل تأكيد منظرون بنائيون اجتماعيون مثل كينيث جيرجن وجان بودريار ممن يمكن تأويلهم على هذا النحو، ولكننا نعتقد إلى حد كبير أن هذا يمثل صورة كاريكاتورية للبنائية الاجتماعية. إن معظم البنائيين الاجتماعيين بما في ذلك أنصار مقارباتنا الثلاث، ينظرون إلى الحقل الاجتماعي بوصفه محكوماً قاعدياً ومنتظماً إلى حد كبير. وعلى الرغم من أن المعرفة والهويات تكون مشروطة دائماً من ناحية المبدأ، فإنها تكون دائما جامدة نسبياً في مواقف محددة. إن المواقف المحددة تضع القيود على الهويات التي يمكن أن

يفترضها أحد الأفراد وعلى العبارات التي يمكن قبولها بوصفها حاملة لمعنى. وسوف نستأنف هذه المناقشة في الفصل التالي في علاقتها بنظرية الخطاب عند لوكلاو وميف.

المقاربات الثلاث

إن للمقدمات المنطقية الأساسية للبنائية الاجتماعية جذوراً في نظرية ما بعد البنيوية الفرنسية ورفضها للنظريات الشمولية والكلانية مثل الماركسية والتحليل النفسي. سوى أن كلا من البنائية الاجتماعية وما بعد البنيوية تسميتان متنازع عليهما ولا يوجد إجماع حول العلاقة بينهما. إننا نفهم البنائية الاجتماعية بوصفها مقولة أكثر اتساعاً تنضوي تحتها ما بعد البنيوية كمقولة فرعية. إن كل مقارباتنا التحليلية للخطاب تتماس مع نظرية اللغة البنيوية وما بعد البنيوية، ولكن هذه المقاربات تتفاوت من حيث المدى الذي تنطبق عليه تسمية ما بعد البنيوية.

إن نظرية الخطاب عند إرنستو لوكلاو وشانتال ميف.. هي "أنقى" نظرية ما بعد بنيوبة في مختاراتنا. إن منطلق النظرية يوجد في فكرة ما بعد البنيوية بأن الخطاب يبني العالم الاجتماعي في المعنى، وبأن المعنى، تبعاً لعدم الاستقرار الأصلي للغة، لا يمكن أن يكون ثابتاً على نحو دائم أبداً. الخطاب ليس كينونة مغلقة: إنه بالأحرى في حالة تحول دائم عبر التماس مع خطابات أخرى. ولذا فإن الكلمة المفتاح للنظرية هي الصراع الخطابي dicursive struggle. إن خطابات مختلفة –يمثل كل منها طرقاً خاصة للحديث حول/ وفهم العالم الاجتماعي –تنخرط في صراع دائم مع بعضها البعض لتحقيق السيطرة، أي، لتثبيت معاني اللغة على طريقتها الخاصة. يمكن فهم السيطرة مؤقتاً إذن بوصفها هيمنة منظور واحد بعينه. وسوف نتناول هذا بالتفصيل في الفصل الثاني.

ويؤكد التحليل النقدي للخطاب، الذي نناقشه في الفصل الثالث، مع التركيز بصفة خاصة على مقاربة نورمان فيركليف Fairclough، على الدور الفعال للخطاب في بناء العالم الاجتماعي. ولكن فيركليف، خلافاً للوكلاو وميف، يصر على أن الخطاب مجرد مظهر واحد من مظاهر عديدة لأية ممارسة اجتماعية. ويمثل هذا التمييز بين الخطاب واللاخطاب أحد آثار الماركسية الأكثر تقليدية في نظرية فيركليف، ويجعل التحليل النقدي للخطاب أقل ما بعد بنيوية من نظرية لوكلاو وميف.

وإحدى مناطق الاهتمام المركزية في التحليل النقدي للخطاب عند فيركليف هو استقصاء التغيير. إن الاستعمال المتعين للغة يستفيد دائما من البنى الخطابية الأسبق؛ لأن مستعملي اللغة يتكئون بالفعل على معان مستقرة. إن فيركليف يسلط الضوء على هذا من خلال مفهوم التناص – أي، الكيفية التي يعتمد فيها نص مفرد على عناصر وخطابات ونصوص أخرى. ومن خلال دمج عناصر من خطابات مختلفة، يمكن للغة المتعينة تغيير الخطابات الفردية، وبذلك يمكنها أيضا تغيير العالم الثقافي. ومن خلال تحليل التناص، يمكننا استقصاء كلاً من إعادة إنتاج الخطابات الذي لا يتم وفقا له، تقديم أي عناصر جديدة، والتغيير الخطابي الذي يتم عبر توليفات جديدة من الخطاب.

ويشترك علم النفس الخطابي Discursive psychology وهو موضوع الفصل الرابع، مع التحليل النقدي للخطاب في التركيز الإمبريقي على أمثلة محددة من استعمال اللغة في التفاعل الاجتماعي. ولكن هدف علماء النفس الخطابيين لا ينصب على تحليل التغييرات واسعة النطاق في "خطابات" المجتمع التي يمكن أن يحدثها استعمال اللغة الملموسة، بقدر ما ينصب على فحص الكيفية التي يستعمل بها البشر الخطابات المتاحة بشكل مرن في والتعبير عن تمثيلات العالم والهويات في التفاعل الطبيعي الاعتيادي الذي يجرى في سياق المحادثات، فضلاً عن تحليل النتائج الاجتماعية المترتبة على ذلك. وعلى الرغم من اختيار تسمية

"علم النفس الخطابي" لهذه المقاربة، فإن مركز اهتمامها الرئيس ليس الشروط السيكولوجية الداخلية. إن علم النفس الخطابي بمثابة مقاربة لعلم النفس الاجتماعي الذي طور نمطاً من تحليل الخطاب يهدف إلى استكشاف الطرق التي تتشكل بها نفوس البشر، وأفكارهم وعواطفهم وتتحول عبر التفاعل الاجتماعي مع إلقاء الضوء على الدور الذي تلعبه هذه السيرورات في إعادة الإنتاج والتحول الاجتماعي والثقافي. إن الكثير من علماء النفس الخطابيين يعتمد صراحة على نظرية ما بعد البنيوية، ولكن نتائجهم تختلف عن نتائج لوكلاو وميف على سبيل المثال. إن التشديد في علم النفس الخطابي يقع على الأفراد بوصفهم منتوجات الخطاب ومنتجيه في سياقات محددة من التفاعل، بينما تميل نظرية الخطاب عند لوكلاو وميف للنظر إلى الافراد فقط بوصفهم ذوات الخطاب.

وفي الفصلين الثالث والرابع اللذين يتناولان على التوالي التحليل النقدي للخطاب وعلم النفس الخطابي، نضع الأسس النظرية والتوجيهات المنهجية لتحليل الخطاب ونقدم بعض الأمثلة المحسوسة داخل كل تقليد. إن نظرية الخطاب عند لوكلاو وميف تفتقر إلى توجيهات منهجية محددة وأمثلة توضيحية. ولكي نعوض هذا النقص، استنبطنا من نظريتهما نطاقاً من الأدوات التحليلية نقدمها في الفصل الثاني بالإضافة إلى مثال للتحليل يتأسس على هذه الأدوات. والغرض من التوجيهات والأمثلة في الفصول الثلاثة هو تقديم تبصر في كيفية استخدام المقاربات الثلاث المختلفة لتحليل الخطاب في العمل الإمبريقي. إننا في كل فصل، نحدد الملامح المميزة لكل منظور، في الوقت الذي نشير فيه للجوانب التي يشتركان فيها مع أحد المنظورات الأخرى أو كليهما. وفى كل الأحوال نشدد على الصلات بين النظرية والمنهج. وفي الفصل الخامس، وجهنا الكثير من الاهتمام نحو الاختلافات النظرية والمنهجية والتشابهات بين المقاربات. إننا نعقد المقارنات بين المقاربات، نزن نقاط قوتها وضعفها، ونشير إلى الطرق التي يمكن بها أن يكمل بعضها البعض. وأخيراً، نطرح بعض الأسئلة وثيقة الصلة بالمقاربات. كيف نعين حدود الخطاب؟ كيف يمكن البدء بتحليل الخطاب؟ كيف يمكننا أن ننجز بحثاً متعدد المنظورات يجمع مقاربات تحليلية مختلفة للخطاب ومقاربات تحليلية غير خطابية مختلفة؟ وكما نفعل في الفصول الأخرى، نقدم أمثلة توضيحية لطرق معالجة هذه الأسئلة في البحث الإمبريقي. ويقدم الفصل الأخير من الكتاب مناقشة حول طبيعة البحث النقدي داخل نموذج البنائية الاجتماعية. هنا، نناقش ونقيم نطاقا من المحاولات التي تهدف إلى التعامل مع مشكلات إجراء البحث النقدي وفقاً للأسس التي تقوم عليها البنائية الاجتماعية، والتركيز على مواقفها المختلفة في علاقتها بقضية النسبية ووضعية الحقيقة والمعرفة (8).

من نظام اللغة إلى الخطاب

بالإضافة إلى المقدمات المنطقية البنائية الاجتماعية العامة، تلتقي كل المقاربات التحليلية للخطاب بالنسبة إلى وجهات نظرها حول اللغة والذات. ولكي نوفر قاعدة مشتركة للنقاشات في الفصول القادمة، سوف نقدم الآن وجهات النظر المشتركة للمقاربات متبوعة بالنقاط الرئيس للتباعد والاختلاف.

إن المقاربات التحليلية للخطاب تتخذ مطلب فلسفة اللسان البنيوية وما بعد البنيوية منطلقا لها، حيث يكون مدخلنا للواقع من خلال اللغة على الدوام. فمن خلال اللغة نخلق تمثيلات الواقع التي لا تكون أبداً مجرد انعكاسات لواقع موجود سلفاً بقدر ما تسهم في بناء الواقع. ولا يعني هذا عدم وجود الواقع نفسه، فالمعاني والتمثيلات كائنة. كما أن الموضوعات الفيزيقية توجد أيضا، ولكنها تكتسب معنى فقط عبر الخطاب.

دعنا نتخذ كمثال فيضاناً يرتبط بنهر يفيض على شاطئيه. إن ارتفاع منسوب المياه الذي تسبب في الفيضان حدث يقع مستقلا عن أفكار الناس وكلامهم. إن الجميع يغرق إذا ما تواجدوا في المكان الخطأ، بغض النظر عما يفكرون فيه أو يقولوه. إن ارتفاع منسوب المياه حقيقة مادية. ولكن ما أن يعزو الناس معنى له، حتى لا يعد خارج الخطاب. إن معظم الناس سوف يضعونه تحت مقولة "الظواهر الطبيعية"، ولكنهم لن يصفوه بالضرورة بالطريقة نفسها. سوف يلجأ البعض إلى خطاب الأرصاد الجوية، وينسبون ارتفاع منسوب المياه إلى انهمار غزير غير معتاد. وسوف يعلله آخرون على أساس ظاهرة النينو El Nino [9] أو ينظرون إليه بوصفه أحد النتائج العالمية الكثيرة لظاهرة "الاحتباس الحراري". ومع ذلك سوف يفسره البعض بوصفه محصلة "سوء الإدارة السياسية" مثل فشل الحكومة القومية في الإقدام على بناء السدود وتوفير المال اللازم لتمويل ذلك. وأخيراً، سوف يراه البعض تجلياً لإرادة الله، ويردونه لغضبه من حياة الخطيئة التي يحياها البشر أو يرونه علامة على قرب نهاية العالم. إن ارتفاع منسوب المياه، بوصفه حدثاً يقع في نقطة محددة من الزمان، يمكن إذن أن يتخذ معنى وفقا لمنظورات مختلفة عديدة أو خطابات متعددة كثيرة (يمكن أيضا أن تأتلف بطرق مختلفة). كما أن كل خطاب من هذه الخطابات المختلفة يشير إلى مسار مختلف للحدث كلما كان ذلك ممكنا ومناسبا مثل بناء السدود، تكتل المعارضة السياسية تجاه السياسات المتعلقة بالبيئة العالمية أو الحكومة القومية، أو الإشارة لقرب نهاية العالم. إذن، فإن عزو المعنى في الخطابات يعمل على تشكيل وتغيير العالم.

اللغة إذن ليست مجرد قناة لتوصيل المعلومات المتعلقة بالأحوال الذهنية الكامنة وأنماط السلوك أو الحقائق المتعلقة بالعالم. إن اللغة، خلافاً لذلك، "ماكينة" لتوليد، ومن ثم لتشكيل العالم الاجتماعي. ويمتد هذا أيضا لتشكيل الهويات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية. إنها تعني أن التغييرات في الخطاب وسيلة لتغيير العالم. إن الصراعات على المستوى الخطابي تشارك في تغيير الواقع الاجتماعي وإعادة إنتاجه.

إن فهم اللغة، بوصفها نظاماً لا يقرره الواقع الذي تشير إليه، ينبثق من اللسانيات البنيوية التي جاءت في أعقاب الأفكار الرائدة لفردناند دى سوسير بالقرب من بداية هذا القرن. إن سوسير يجادل أن العلامات تتألف من فكرتين، الشكل (الدال) والمحتوى (المدلول)، وأن العلاقة بين الاثنين اعتباطية (Saussure 1960) وأن المعنى الذي نضفيه على الكلمات ليس محايثاً لها وإنما هو ناتج الأعراف الاجتماعية التي نربط بواسطتها معان معينة بأصوات محددة. إن الصوت أو الصورة المكتوبة، "كلب"، على سبيل المثال، ليس لها علاقة طبيعية بصورة الكلب التي تظهر في عقولنا عندما نسمع الكلمة. وكوننا نفهم ما يعنيه الآخرون عندما ينطقون كلمة "كلب" يعود إلى العرف الاجتماعي الذي علمنا أن كلمة "كلب" تشير إلى الحيوان ذي الأرجل الأربع الذي ينبح. وما يعنيه سوسير هو أن معنى العلامات المفردة يحدده علاقتها بغيرها من العلامات: إن العلامة تكتسب قيمتها المحددة من كونها مختلفة عن علامات أخرى. إن كلمة "كلب dog" تختلف عن كلمات "قطة cat" و"فأر mouse" و"يحفر dig" و"نقطة dot". كلمة "كلب" إذن جزء من شبكة أو بنية من كلمات أخرى تختلف عنها. إن كلمة "كلب" تكتسب معناها تحديدا نتيجة اختلافها عن أي شيء غيرها.

لقد رأى سوسير هذه البنية بوصفها مؤسسة اجتماعية ومن ثم عرضة للتغيير بفعل الزمن. وهذا يتضمن أن العلاقة بين اللغة والواقع اعتباطية أيضا، وهي مسألة تطورت في نظرية البنيوية وما بعد البنيوية. إن العالم لا يملى بنفسه الكلمات التي ينبغي أن يوصف بها. إن العلامة "كلب"، مثلاً، ليست النتيجة الطبيعية لظاهرة فيزيقية. إن شكل العلامة يختلف باختلاف اللغات،

كما يتغيير محتوى العلامة أيضاً عند استخدامها في مواقف جديدة (عندما نخاطب شخصاً على سبيل المثال "يا لك من كلب").

ويرى سوسير أن بنية العلامات هي موضوع اللسانيات. ويميز بين مستويين من مستويات اللغة: اللسان langue والكلام parole." اللسان "هو بنية اللغة، شبكة العلامات التي تمنح المعنى لبعضها البعض، وهي ثابتة ولا تخضع للتغيير. و"الكلام"، على الجانب الآخر، هو الاستعمال الموقعي للغة، العلامات المستعملة بالفعل بواسطة الأفراد في مواقف محددة. و"الكلام" ينبغي ان يعتمد دائماً على "اللسان"، لأن بنية اللغة هي التي تجعل عبارات محددة ممكنة. ولكن "الكلام" تبعاً للتقليد السوسيري غالباً ما ينظر إليه بوصفه اعتباطياً ومن ثم تفسده أخطاء البشر وأنماط سلوكهم بحيث لا يصلح لأن يكون موضوعاً للبحث العلمي. ومن ثم، أصبحت البنية الثابتة الكامنة، أو اللسان، هو الموضوع الرئيس للسانيات.

لقد اتخذت ما بعد البنيوية من نظرية البنيوية منطلقاً لها ولكنها قامت بتعديلها من نواح مهمة. لقد أخذت ما بعد البنيوية من البنيوية فكرة أن العلامات لا تستمد معانيها من خلال علاقاتها بالواقع وإنما من خلال العلاقات الداخلية داخل شبكة العلامات، ولكنها ترفض نظرة البنيوية للغة بوصفها بنية مستقرة، وغير قابلة للتغيير وكلية، وترفع التمييز القاطع بين "اللسان" و"الكلام".

ننتقل أولاً، لنقد ما بعد البنيوية للبنية المستقرة التي لا تخضع للتغيير للغة. وكما ذكرنا من قبل، تكتسب العلامات معناها في نظرية سوسير البنيوية عبر اختلافها عن علامات أخرى. في التقليد السوسيري، يمكن اعتبار بنية اللغة شبكة منتهية تحتل كل علامة فيها مكانها بوصفها إحدى العقد في الشبكة. وعندما تتسع الشبكة، تكون العقدة ثابتة في مكانها بفضل مسافتها عن بقية العقد في الشبكة، مثلما تتحدد العلامة عبر المسافة التي تفصلها عن باقي العلامات. إن قدراً كبيراً من نظرية البنيوية يرتكز على فرضية أن العلامات محكومة بعلاقاتها الخاصة ببعضها البعض. إن لكل علامة مكانها الخاص في الشبكة ويكون معناها ثابتاً. لقد وجه البنيويون وما بعد البنيويين فيما بعد النقد لهذا التصور حول اللغة؛ إنهم لا يعتقدون أن للعلامات مثل هذه المواقع الثابتة على الطريقة المستوحاة من شبكة الصيد. إن العلامات في نظرية ما بعد البنيوية، لا تزال تكتسب معناها عبر اختلافها عن علامات أخرى، فإن أن تلك العلامات التي تختلف عنها يمكن أن تتغيير تبعاً للسياق الذي تستعمل فيه انظر (Laclau 1993: 433)، على سبيل المثال، يمكن لكلمة "عمل"، في بعض المواقف، أن تكون عكس كلمة "راحة" أو وقت الفراغ، بينما يكون عكسها في سياقات أخرى كلمة "خمول" أو "استرخاء" كما في عبارة "الاسترخاء في الحديقة". ولا يعني هذا أن الكلمات مفتوحة على كل المعاني – سوف يجعل هذا اللغة والتواصل مستحيلاً – وإنما يعني عدم إمكانية تثبيت الكلمات في معنى / معان محددة. إن استعارة شبكة الصيد لم تعد مناسبة حيث لم يعد بالإمكان على نحو نهائي تحديد أين ينبغي للعلامات ان توضع في علاقتها بغيرها. وبدلا من استعارة "الشبكة"، نفضل اتخاذ "الإنترنت" أو شبكة التواصل نموذجا، حيث تتصل كل الروابط ببعضها البعض، سوى أن الروابط يمكن محوها، وتبرز على الدوام روابط جديدة تبدل البنية.

إن البنى موجودة بالفعل، ولكنها دائماً في حالة مؤقتة وغير متماسكة بالضرورة. ويزود هذا الفهم ما بعد البنيوية بأداة لحل واحدة من المشكلات التقليدية للبنيوية، ألا وهي مشكلة التغيير. إن من المستحيل، إزاء تركيز البنيوية على بنية كامنة وثابتة، فهم التغيير، لأنه من أين يأتي التغيير؟ إن البنية في ما بعد البنيوية متغيرة ويمكن لمعاني العلامات أن يتحول بالنسبة لبعضها البعض.

ولكن ما الذي يتسبب في تغيير معانى العلامات؟. هذا يقربنا من نقد ما بعد البنيوية الرئيس الثاني للبنيوية التقليدية المرتبط بتمييز الأخيرة القاطع بين "اللسان" و"الكلام". وكما ذكرنا، لا يمكن للكلام أن يكون أحد موضوعات دراسة البنيوية لأن استخدام اللغة المرتبط بمواقف محددة يعتبر موضوعاً اعتباطياً إلى الحد الذي لا يمكنه قول أي شيء حول البنية، أو اللسان. وفي مقابل هذا، تؤمن ما بعد البنيوية أن البنية تخلق، ويعاد إنتاجها، ويجرى تغييرها في الاستعمال الملموس للغة. إن البشر، في أفعال الكلام المحددة (وفي الكتابة) يستندون إلى البنية – وإلا لن يكون الكلام ذا معنى– ولكنهم قد يتحدون البنية من خلال تقديم أفكار بديلة لكيفية تثبيت معنى العلامات.

إن مقاربات تحليل الخطاب لا تسهم كلها صراحة في ما بعد البنيوية، ولكنها يمكن أن تتفق جميعاً حول النقاط الرئيسة التالية:

- اللغة ليست انعكاساً لواقع سابق الوجود.
- اللغة مبنينة في أنماط أو خطابات –لا يوجد مجرد نظام عام واحد للمعنى كما في بنيوية سوسير وإنما مجموعة من النظم أو الخطابات تتغير عن طريقها المعاني من خطاب لخطاب.
- يتم الاحتفاظ بهذه الأنماط الخطابية وتتحول في الممارسات الخطابية.
- إن الاحتفاظ بهذه الأنماط وتحويلها ينبغي من ثم استكشافه من خلال تحليل السياقات المحددة التي تمارس فيها اللغة فعلها.

أركيولوجيا وجينالوجيا فوكو

لعب ميشيل فوكو دوراً مركزياً في تطور تحليل الخطاب عبر العمل النظري والبحث التجريبي على حد سواء. لقد أصبح فوكو شخصية يقتبس منها، ويعلق عليها، وتعدل ويوجه إليها النقد. وسوف نستعرض فوكو، نرسم مناطق إسهاماته في تحليل الخطاب ليس فقط لكي نرقى إلى القواعد الضمنية للعبة، وإنما أيضا لأن كل مقارباتنا تمتلك جذوراً في أفكار فوكو، في الوقت الذي نستبعد فيه بعض أجزاء من نظريته.

تقليدياً، ينقسم عمل فوكو إلى طور"أركيولوجي" مبكر وطور "جينالوجي" متأخر، على الرغم من تداخل الطورين من خلال استمرار فوكو في استخدام أدوات من أركيولوجياه في أعماله المتأخرة. إن نظريته في الخطاب تشكل جزءا من أركيولوجياه. وما يهتم به في دراسته الأركيولوجية هو القواعد التي تحدد العبارات المقبولة بوصفها ذات معنى وحقيقية في حقبة تاريخية محددة. وهو يعرف الخطاب كالتالي:

سوف نطلق كلمة "خطاب" discourse على مجموعة من العبارات بقدر انتمائها التكوين الخطابي نفسه. ويتألف [...الخطاب] من عدد محدود من العبارات التي يمكن أن نعين لها مجموعة من شروط الوجود. والخطاب بهذا المعنى ليس شكلاً مثالياً ومطلقاً... إنه تاريخي من البداية إلى النهاية – نبذة من التاريخ –. .. تشكل حدودها، أقسامها، تحولاتها، ونماذجها الخاصة المحددة المتعلقة بزمنيتها (Foucault 1972, 117).

إن فوكو يتقيد بمقدمته البنائية الاجتماعية العامة بأن اللغة ليست مجرد انعكاس للواقع. إن الحقيقة بناء خطابي وتحدد كل نظم المعرفة المختلفة ما هو حقيقي وما هو زائف. وهدف فوكو هو فحص بنية النظم المختلفة للمعرفة – أي، قواعد ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله وقواعد ما يمكن اعتباره حقيقي وما يمكن اعتباره زائفاً. والمنطلق هو أنه على الرغم من امتلاكنا، من

ناحية المبدأ، عدداً لا نهائياً من طرق صياغة العبارات، فإن العبارات التي يتم إنتاجها داخل مجال محدد متشابهة ومتكررة نوعاً ما، وهناك عدد لا حصر له من العبارات التي لم ينطق بها قط، ولا يمكن قبولها بوصفها ذات معنى. إن القواعد التاريخية للخطاب الخاص تحدد ما يمكن قوله.

إن أغلب المقاربات التحليلية المعاصرة للخطاب تتبع تصور فوكو للخطابات بوصفها مجموعات تحكمها قواعد ثابتة نسبيا من العبارات التي تفرض حدوداً على ما يمنح المعنى، وتؤسس على أفكاره حول كون الحقيقة شيئا، يتم خلقه خطابياً– إلى حد كبير على الأقل. وعلى الرغم من ذلك، فإنها جميعا تنصرف عن نزعة فوكو لتحديد نظام واحد فقط للمعرفة في كل حقبة تاريخية، وبدلاً من ذلك، تشتغل على صورة أكثر صراعية توجد فيها خطابات مختلفة جنبا إلى جنب، أو تغالب لإقرار حقها في تحديد الحقيقة.

وفي عمله الجينالوجي، طور فوكو نظرية حول السلطة / المعرفة. وعوضاً عن تناول العوامل agents والبنى بوصفها مقولات أولية، يسلط فوكو الضوء على السلطة. والسلطة، مثلها مثل الخطاب، لا تنتمي لعوامل محددة مثل الأفراد أو الدولة أو مجموعات ذات اهتمامات خاصة؛ إن السلطة تنتشر بالأحرى عبر ممارسات اجتماعية مختلفة. ولا ينبغي فهمها بوصفها قمعية على سبيل الحصر وإنما بوصفها منتجة. إن السلطة تشكل الخطاب، والمعرفة، والأجساد وأشكال الذاتية:

ما يجعل السلطة تؤدى عملها بشكل جيد، الذي يجعلها مقبولة، هو ببساطة حقيقة أنها لا تلقي بثقلها علينا فقط بوصفها قوة تقول لا، ولكن كونها تذهب إلى ما وراء الأشياء وتنتجها، إنها تغري بالمتعة، تشكل المعرفة، تنتج الخطاب. إنها بحاجة إلى ان ينظر إليها بوصفها شبكة تمارس عملها في كل الجسد الاجتماعي، أكثر كثيراً من كونها حالة سلبية وظيفتها القمع.

السلطة إذن تقدم شروط الإمكان للاجتماعي. إن عالمنا الاجتماعي يتم إنتاجه في السلطة، وفيها يتم عزل الأشياء عن بعضها البعض فتكتسب من ثم سماتها الفردية وعلاقاتها ببعضها البعض. لقد خلقت "الجريمة"، على سبيل المثال، تدريجياً بوصفها مجالاً يمتلك مؤسساته الخاصة به (السجون، على سبيل المثال)، وذوات بعينهم ("المجرمين" مثلاً) وممارسات محددة ("إعادة التنشئة الاجتماعية" مثلاً). والسلطة وثيقة الصلة دائما بالمعرفة، إن السلطة والمعرفة يقتضي كل منهما الآخر، على سبيل المثال، من الصعب تخيل نظام السجون الحديث بمعزل عن علم الجريمة.

إن السلطة مسئوولة على حد سواء عن خلق عالمنا الاجتماعي وعن طرقنا الخاصة التي يتشكل بها العالم والتي يمكن الحديث بواسطتها عنه، وتستبعد طرقاً بديلة للوجود والكلام. السلطة من ثم قوة منتجة ومقيدة في آن معاً. لقد التزمت نظرية الخطاب عند لوكلاو وميف بمفهوم فوكو عن السلطة وعلم النفس الخطابي، بينما يظل التحليل النقدي للخطاب أكثر تردداً تجاهه. وسوف نناقش موقف التحليل النقدي للخطاب في الفصل الثالث.

وفيما يتعلق بالمعرفة، كان من نتيجة اقتران السلطة بالمعرفة عند فوكو أن ارتبطت السلطة ارتباطاً وثيقاً بالخطاب. إن الخطابات تسهم على نحو مركزي في انتاج الذوات التي نكونها، والموضوعات التي يمكن أن نعرف شيئاً عنها (بما في ذلك أنفسنا بوصفنا ذواتا). وعلى الرغم من كل المقاربات، فإن التمسك بوجهة النظر هذه يؤدي إلى سؤال البحث التالي: كيف يتشكل العالم الاجتماعي، بما في ذلك ذواته وموضوعاته، في الخطابات؟

إن لمفهوم فوكو عن السلطة / المعرفة نتائجه أيضا بالنسبة لتصوره عن الحقيقة. إنه يفترض أن من غير الممكن الوصول إلى الحقيقة الكلية لأن من المستحيل الحديث من موقع خارج الخطاب؛ لا مفر من التمثيل. إن "آثار الحقيقة" يتم خلقها داخل الخطابات. و"الحقيقة" في الطور الأركيولوجي لفوكو، تفهم بوصفها نظاماً للإجراءات لإنتاج، وضبط ونشر العبارات. إنه يقيم رابطا في طوره الجينالوجي بين الحقيقة والسلطة، مجادلاً بأن "الحقيقة" كامنة في أنظمة السلطة، ويتم إنتاجها بواسطتها. وحيث يستحيل بلوغ الحقيقة، فمن غير المجدي أن نسأل عما إذا كان شيء ما حقيقي أم زائف. وعوضاً عن ذلك، يتعين أن يتركز اهتمامنا على الكيفية التي تخلق بها آثار الحقيقة في الخطابات. إن ما يتعين تحليله هو السيرورات الخطابية التي تبنى من خلالها الخطابات بأساليب تعطي الانطباع بأنها تمثل صوراً حقيقية أو زائفة للواقع.

الذات

يرجع الفضل لفوكو أيضاً في تقديم نقطة البدء الخاصة بفهم تحليل الخطاب للذات. ووجهة نظره، كما بينا بالفعل، هي أن الذوات تخلق في الخطابات. إنه يجادل بأن "الخطاب ليس التجلي المتطور المهيب لذات مفكرة، عارفة، ناطقة (Foucault 1972: 55) أو كما عبر ستاينر كيفيل Steinar Kavale عن الوضع، "لم تعد الذات تستعمل اللغة للتعبير عن نفسها؛ وإنما اللغة هي التي تتحدث بالأحرى من خلال الشخص. إن ذات الفرد يصبح وسيطاً للثقافة ولغتها" (Kavale 1992: 36).

ويختلف هذا تماماً عن الفهم الغربي القياسي للذات بوصفها كينونة مستقلة ذاتيا وتتمتع بالسيادة. والذات تبعاً لفوكو لا مركزية. وهنا، يبدو فوكو متأثراً بأستاذه ألتوسير.

إن مقاربة ألتوسير الماركسية البنيوية تربط الذات على نحو وثيق بالأيديولوجيا: يصبح الفرد ذاتاً أيديولوجية من خلال سيرورة الاستجواب interpellation التي تتعامل مع الفرد بوصفه ذاتاً. أولاً، سوف نجمل فهم ألتوسير للأيديولوجيا ونتبع ذلك بفهمه للاستجواب. إن ألتوسير يعرف الأيديولوجيا بوصفها نظاماً من التمثيلات التي تخفي علاقاتنا الحقيقية ببعضنا البعض في المجتمع من خلال بناء علاقات متخيلة بين البشر وبينهم وبين التكوين الاجتماعي (Althusser 1971). ومن ثم فالأيديولوجيا إدراك مشوه للعلاقات الاجتماعية الحقيقية. وتبعاً لألتوسير، تتحكم الأيديولوجيا في كل الجوانب الاجتماعية، وتمارس عملها عبر "جهاز الدولة القمعي" (الشرطة على سبيل المثال) و"جهاز الدولة الأيديولوجي" (وسائل الإعلام الجماهيرية مثلاً).

ويشير الاستجواب للسيرورة التي تبنى من خلالها اللغة موقعاً اجتماعياً للفرد ومن ثم تجعله ذاتاً أيديولوجية:

تمارس الأيديولوجيا عملها أو تؤدي وظيفتها على نحو "يعبئ" الذوات بين الأفراد (إنها تعبئهم جميعا)، أو "تحول" الأفراد إلى ذوات (إنها تعبئهم جميعاً) بفضل العملية الدقيقة نفسها التي أطلقت عليها الاستجواب أو المناداة hailing والتي يمكن تخيلها وفقاً للمناداة اليومية الاعتيادية للشرطي (أو غيره): "مين هناك!" وبافتراض أن المشهد النظري الذي تخيلته يحدث في الشارع، فإن الفرد المنادى سوف يستدير... إنه يصبح ذاتاً. (Althusser 1971: 174).

دعنا نأخذ كمثال مادة إعلامية عامة حول الصحة في الحداثة المتأخرة، تستجوب القراء بوصفهم مستهلكين مسئولين مسئولية شخصية عن العناية بأبدانهم من خلال الاختيار الصحيح لأسلوب الحياة. إننا عبر قبولنا بدور المخاطب بالنسبة للنص، ننضم إلى وضع الذات الذي تم خلقه بواسطة الاستجواب. وعبر هذا التصرف، نعيد إنتاج أيديولوجيا النزعة الاستهلاكية

ووضعنا بوصفنا ذواتاً في ثقافة استهلاكية. ولكن تبنينا لوضع الذات في ثقافة استهلاكية، يعنى قبولنا أن بعض المشكلات تصاغ بوصفها مشكلات شخصية يتحمل الفرد مسئولية حلها، بدلاً من كونها مشكلات تتطلب حلولاً جماعية.

إن التوسير يفترض أننا نقبل دائماً أوضاع الذات المخصصة لنا ونصبح عن طريقها ذواتاً للأيديولوجيا؛ لا مجال للمقاومة:

تبين التجربة أن الاتصالات العملية عن بعد للمناداة نادراً ما تخطئ رجلها أبداً: سواء كان النداء لفظيا أو صافرة، يدرك الشخص المنادى دائما أنه المقصود بالنداء. (Althusser 1971: 174).

رفض الحتمية

كان لنظرية التوسير تأثير كبير على المقاربات الخاصة بالدراسات الثقافية المتعلقة بدراسات التواصل في حقبة السبعينيات. لقد ركز البحث على النصوص (ولا سيما نصوص وسائل الإعلام الجماهيرية)، وليس على إنتاج النص أو تلقيه طالما أن الباحثين تعاملوا مع الاشتغالات والآثار الأيديولوجية للنصوص بوصفها أمراً مسلماً به. لقد تم تناول المعاني كما لو أنها ليست كامنة بلا التباس في النصوص وتفك شفراتها على نحو سلبي. لقد تأسست الدراسات الثقافية – التي تأثرت كثيراً بألتوسير – إلى حد كبير على فكرة أن أيديولوجيا وحيدة (الرأسمالية) كانت مهيمنة في المجتمع، دون أن تسمح بمجال حقيقي للمقاومة الفعالة (أطروحة "الأيديولوجيا المهيمنة").

ولكن منذ نهاية حقبة السبعينيات، تعرض منظور ألتوسير للنقد بطرق عديدة. أولاً، تم طرح القضية التي تتعلق بإمكانات مقاومة الرسائل الأيديولوجية التي تقدم للذات – قضية حرية الاختيار أو الفعل بمعزل عن الأنظمة الاجتماعية أو أية مؤثرات خارجية. لقد أشارت مجموعة الميديا في "مركز الدراسات الثقافية المعاصرة" في برمنجهام، التي يشرف عليها ستيوارت هول، بهذا الصدد لتعقد تلقى الميديا (Hall et al 1980). إن المتلقين، بالنسبة لنظرية "التشفير/ فك الشفرة" الخاصة بهول، تمكنوا من تأويل أو "فك شفرة" الرسائل عبر شفرات غير الشفرة التي كانت "مشفرة" في النص (Hall 1980). لقد تأسست النظرية، من بين أشياء أخرى، على نظرية السيادة عند جرامشي، التي تنسب درجة من حرية الفعل والاختيار لكل المجموعات الاجتماعية في إنتاج ومداولة المعنى (Gramsci 1991). وهناك إجماع الآن في الدراسات الاقتصادية، والبحث المتعلق بالتواصل وتحليل الخطاب، أن أطروحة الأيديولوجيا المهيمنة تستخف بقدرة البشر على مقاومة الأيديولوجيات. ويمكن أن تميل بعض المساهمات في الاتصالات والدراسات الثقافية للمغالاة في تقدير قدرة البشر على مقاومة رسائل وسائل الإعلام (أنظر، على سبيل المثال، Morley 1992 لنقد لهذا الاتجاه)، ولكن تحليل الخطاب يأخذ في اعتباره عادة دور الملامح النصية في فرض الحدود على الكيفية التي يمكن بها تأويل النص بواسطة من يتلقونه.

ثانياً، ترفض كل مقاربات تحليل الخطاب المقدمة في كتابنا فهم الاجتماعي بوصفه محكوماً بأيديولوجيا شمولية واحدة. ومثلما استبدلت وجهة نظر فوكو التي تكشف عن وحدة متراصة وتناغم كلى حول نظم المعرفة بنموذج أكثر تعددية تتصارع فيه الكثير من الخطابات، فإنها تستبعد نظرية ألتوسير بأن أيديولوجيا واحدة لا غير تحكم كل الخطابات. ونستنتج من هذا أن الذوات لا تصبح مستجوبة في وضع واحد فقط للذات: إن خطابات مختلفة تمنح الذات مواقع مختلفة وربما متناقضة تتحدث منها.

لقد طورت المقاربات المختلفة مفاهيم مختلفة حول الذات، وهو ما سوف نناقشه في الفصول التالية. ولكن يمكن القول بصفة عامة أن كل المقاربات ترى أن الذات يتم خلقها في الخطابات – ومن ثم فهي لا مركزية – وأن تشكيل الذوات مركز أساس للتحليل الإمبريقي. ومع ذلك، تختلف المقاربات فيما يتعلق بدرجة التشديد الممنوحة لـ"حرية الفعل" بالنسبة للذات داخل الخطاب. إنها تختلف فيما يتعلق بموقعها في السجال حول العلاقة بين البنية والفاعل agent. إن نظرية الخطاب عند لوكلاو وميف تتبع إلى حد كبير فوكو من حيث نظرتها إلى الفرد بوصفه يتحدد بفعل البني، بينما يتفق التحليل النقدي للخطاب وعلم نفس الخطاب إلى حد كبير مع شعار رولان بارت أن البشر "أسياد وعبيد اللغة في آن" (Barthes 1982). ومن ثم تشدد المقاربتان الأخيرتان على ان البشر يتخذون الخطابات مصادر يصوغون على أساسها مجموعات جديدة من الكلمات جملا لم ينطق بها أحد من قبل. في الحديث، ينتقي مستعملو اللغة عناصر من خطابات مختلفة مستمدة من التواصل الجماهيري والتواصل بين الأشخاص. ويمكن لهذا أن يسفر عن خطابات هجينة جديدة. ومن خلال إنتاج خطابات جديدة بهذه الطريقة، يقوم البشر بدور عوامل التغيير الخطابي والثقافي. وعلى حد قول محلل الخطاب النقدي فيركليف، "إن الأفعال المبدعة الفردية تؤسس تراكمياً نظم الخطاب" (172: 1989). ومع ذلك، ينظر إلى الخطابات، حتى في المقاربات التي تحتل فيها حرية الذات في الفعل والاختيار ودوره في التغيير الاجتماعي موقع الصدارة، بوصفها أطراً تقيد مجال فعل الذات وإمكانات الابتكار. إن كلا من التحليل النقدي للخطاب وعلم نفس الخطاب يقدم أساساً نظرياً وطرقاً محددة لتحليل الممارسات الخطابية الدينامية التي يعمل من خلالها مستعملو اللغة بوصفهم منتوجات ومنتجين خطابيين في عملية إعادة إنتاج وتحويل الخطابات ومن ثم في عملية التغيير الاجتماعي والثقافي.

والمسألة الثالثة والأخيرة في نظرية ألتوسير هي مفهوم الأيديولوجيا نفسه المثير للجدل. إن معظم مفاهيم الأيديولوجيا، بما في ذلك مفهوم ألتوسير نفسه، يتضمن أن بلوغ الحقيقة المطلقة سهل المنال. إن الأيديولوجيا تشوه العلاقات الاجتماعية الحقيقية، وإذا حررنا أنفسنا من الأيديولوجيا، سوف نتمكن من التعرف عليها وبلوغ الحقيقة، وهو فهم، كما شاهدنا، يرفضه فوكو جملة وتفصيلاً. وطبقاً لفوكو، فإن الحقيقة، والذوات، والعلاقات بين الذوات يتم خلقها في الخطاب، ولا توجد أي إمكانية لتجاوز الخطاب نحو "حقيقة" أكثر صدقاً. ومن هنا لا حاجة لفوكو لمفهوم للأيديولوجيا. لقد تبنت نظرية لوكلاو وميف هذا الموقف، ومفهومها حول الأيديولوجيا فارغ من الناحية العملية. وفي المقابل، لا يرفض التحليل النقدي للخطاب وعلم النفس الخطابي التقليد الماركسي تماماً بالنسبة لهذه القضية: إن كلا المقاربتين تهتم بالآثار الأيديولوجية للممارسات الخطابية. ففي الوقت الذي تتمسكان فيه بوجهة نظر فوكو حول السلطة، وتتعاملان مع السلطة بوصفها منتجة عوضاً عن كونها محض إكراه، فإنهما تضفيان أهمية على أنماط الهيمنة، التي تخضع بمقتضاها مجموعة اجتماعية لمجموعة أخرى. ويتم أيضاً الاحتفاظ بفكرة أن بإمكان المرء أن يميز بين الخطابات الأيديولوجية والخطابات التي ليست كذلك – على الأقل في التحليل النقدي للخطاب عند فيركليف – ومن ثم نحتفظ بأمل اكتشاف مخرج / من الأيديولوجيا، وهو أمل يمكن أن يجده كل من لوكلاو وميف ساذجاً.

الاختلافات بين المقاربات

إن الاختلاف في الطريقة التي يتم بها تصور الأيديولوجيا مجرد أحد الاختلافات بين المقاربات الثلاث. وفي القسم التالي، سوف نسلط الضوء على الاختلافات بين هذه المقاربات أولاً، فيما يتصل بدور الخطاب في بناء العالم، وثانياً، فيما يتعلق

ببؤرة التحليل. وفي كلتا الحالتين، تكون الاختلافات مسائل درجة، وسوف نضع المقاربات في علاقتها ببعضها البعض في متصلين سوف نشير إليهما عبر ما تبقى من هذا الكتاب.

دور الخطاب في تشكيل العالم

على الرغم من المقاربات الثلاث، فإن قياس الخطاب بوظيفته – الممارسة الخطابية – ممارسة اجتماعية تشكل العالم الاجتماعي. إن مفهوم "الممارسة الاجتماعية" ينظر إلى الأفعال من منظور ثنائي: إن الأفعال، واقعية، وفردية ومقيدة سياقياً، ولكنها أيضاً، على الجانب الاخر، ممأسسة وكامنة اجتماعياً، وهي تميل بناء على ذلك نحو أنماط الانتظام. إن التحليل النقدي للخطاب عند فيركليف يحتفظ بمفهوم الخطاب للنص، والكلام، وبقية الأنظمة السيميولوجية (مثلا، الإيماءات والموضة) ويحتفظ به متميزاً عن أبعاد أخرى للممارسة الاجتماعية. إن الممارسة الخطابية ينظر إليها بوصفها بعدا واحداً أو لحظة واحدة لكل ممارسة اجتماعية في علاقة ديالكتيكية مع اللحظات الأخرى للممارسة الاجتماعية. ويعني هذا أن بعض نواحي العالم الاجتماعي تؤدي دورها تبعاً لمنطق مختلف عن الخطابات ويتعين دراستها بأدوات غير تلك التي تتعلق بتحليل الخطاب. على سبيل المثال، يمكن أن يكون هناك منطق اقتصادي مؤثر أو مأسسة لأشكال خاصة من الفعل الاجتماعي. إن الممارسة الطبية تعيد إنتاج أو تغيير أبعاد أخرى من الممارسة الاجتماعية تماماً مثلما تشكل أبعاد أخرى البعد الخطابي. إن البعد الخطابي والأبعاد الأخرى للممارسة الاجتماعية يشكلان معا عالمنا.

ويمكن تجسيد هذا الاختلاف بوضع المقاربات في متصل continuum. لقد وضعنا بين أقواس بعض المواضع التي نشير إليها في الكتاب. على الجانب الأيسر، نشاهد الخطاب بوصفه مكوناً أساسياً للاجتماعي، وعلى الجانب الأيمن، تشاهد الخطابات مجرد انعكاسات لميكانزمات اجتماعية أخرى.

إن رسماً تخطيطيا مثل هذا يتعين مقاربته بحرص حيث أن تعقد النظريات الفعلية لابد أن يكون مختزلاً عندما توضع على خط واحد. ويتضح هذا على سبيل المثال في حالة تحديد موضع علم النفس الخطابي. لقد وضعنا علم النفس الخطابي على اليسار إلى حد ما في المتصل، ولكن من الصعب في حقيقة الأمر تعيين موقعه، لأن ذلك يتطلب أن يكون الخطاب تأسيسيا تماما وأن يكون كامناً في الممارسات التاريخية والاجتماعية، التي لا تكون خطابية على الوجه الأكمل.

والمقاربات على أقصى يمين المتصل ليست تحليلية الخطاب. فإذا ادعت إحداها، كما تفعل هذه المقاربات، أن الخطاب مجرد إعادة إنتاج آلية للممارسات الاجتماعية الأخرى – أي أن الخطاب يتحدد تماماً بواسطة شيء آخر مثل الاقتصاد – إذن لا جدوى من إجراء تحليل الخطاب، وبدلاً من ذلك، يتعين استثمار الجهود في التحليل الاقتصادي، على سبيل المثال. لقد حكمنا من ثم على المواضع الماركسية المختلفة على الجانب الأيمن من المتصل تبعاً لمبدأ لا ينصفها تماماً: فلا المادية التاريخية ولا الماركسيين الثقافيين مثل جرامشي وألتوسير اشتغلوا بـ "الخطاب" أو "تحليل الخطاب"، ومن ثم يكون إدراجهم مؤسساً على تأويل واختزال لنظرياتهم في آن معا. زد على ذلك، أن جرامشي وألتوسير يتركان نطاقاً واسعاً إلى حد ما لممارسات ابتكار المعنى يمكن تأويله كبعد خطابي. ولكن كليهما يرى الاقتصاد محدداً في "المثال الأخير"، وهذا هو السبب في أنهما احتلا في نهاية المطاف أقصى الجانب الأيمن من المتصل.

ويمكن تمثيل هذه الاختلافات في متصل كالتالي:

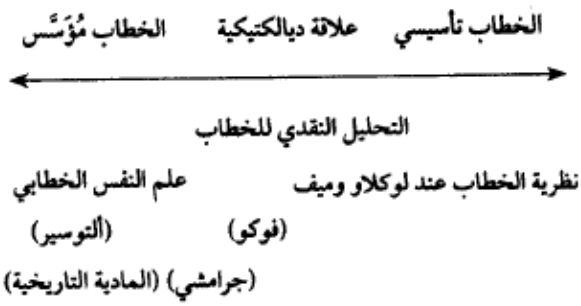

الشكل 1 دور الخطاب في تأسيس العالم

البؤرة التحليلية

إن بعض المقاربات تركز على حقيقة أن الخطابات تنشأ وتتغيير في الممارسات الخطابية اليومية ومن ثم تشدد على الحاجة لتحليلات إمبيريقية نظامية لكلام البشر ولغتهم المكتوبة في وسائل الإعلام الجماهيرية أو المقابلات البحثية. وتكون مقاربات أخرى أكثر اهتماماً بالأنماط العامة الشاملة وتهدف إلى تحديد أكثر تجريداً لموقع الخطابات المتداولة في المجتمع في لحظة محددة من الزمان أو داخل مجال اجتماعي بعينه.

يمكن تمثيل هذه الاختلافات، على متصل، كالتالي:

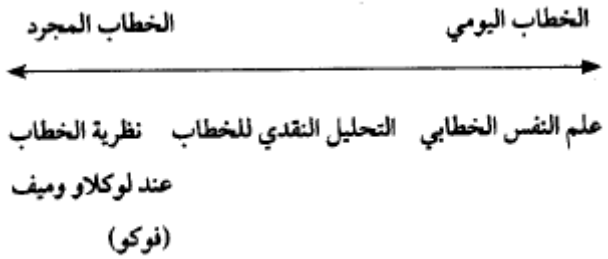

(شكل 2و1 البؤرة التحليلية)

إن التركيز في هذا المتصل، يكون على الاختلافات في الدرجة وليس على الاختلافات الكيفية. وعلى الرغم من أن علم النفس الخطابي يركز على الممارسة اليومية للبشر، فإنه يقتضي ضمناً على الدوام بنى مجتمعية أكبر يستفيد منها البشر أو يقوموا بتحويلها في الممارسة الخطابية. وعلى الرغم من أن نظرية الخطاب عند لوكلاو وميف تهتم بشكل أكبر بالخطابات "غير الملموسة" الأكثر تجريداً، فإن فكرة أن هذه الخطابات تنشأ ويحتفظ بها وتتغيير في عدد ضخم من الممارسات اليومية، توجد على نحو ضمني في النظرية.

ولكن مواضع المقاربات المختلفة على المتصل تعكس اختلافات في التشديد النظري: إن علم النفس الخطابي أكثر اهتماماً بكثير بالاستعمال الفعال والخلاق للخطاب، بوصفه مصدراً لإنجاز أفعال اجتماعية في سياقات محددة للتفاعل، من نظرية الخطاب عند لوكلاو وميف، التي تهتم بدلاً من ذلك بالكيفية التي تقيد بها الخطابات، على نحو أكثر عمومية، إمكانات الفعل عندنا.

دور المحلل

إن الهدف من البحث، بالنسبة لمحلل الخطاب، ليس الوصول إلى ما وراء الخطاب لاكتشاف ما يعنيه البشر حقيقة عندما يقولون هذا أو ذاك أو اكتشاف الواقع فيما وراء الخطاب. إن نقطة البدء هي أن الواقع لا يمكن بلوغه أبداً خارج الخطابات، ومن ثم فالخطاب ذاته هو الذي أصبح موضوع التحليل. إن الاستخدام الأولى في البحث التحليلي للخطاب، ليس التعرف على أي التعبيرات عن العالم في مادة البحث صحيحة وأيها خطأ (على الرغم من إمكانية إجراء تقييم نقدي في مرحلة لاحقة من التحليل). وعلى العكس، يتعين على المحلل الاشتغال على ما قيل أو كتب بالفعل، واكتشاف أنماط في التعابير وعبرها والتعرف على النتائج الاجتماعية للتمثيلات الخطابية المختلفة للواقع.

عند الاشتغال على خطابات قريبة منا نألفها جيداً، يكون من الصعب بصفة خاصة معاملتها بوصفها خطابات؛ أي، بوصفها نظما للمعنى مبنينة اجتماعياً كان يمكن أن تكون شيئاً آخر خلاف ذلك. وحيث إن المحللين يكونون دائماً جزءاً من الثقافة قيد الدراسة، فإنهم يشتركون في الكثير من أشكال الفهم المسلم بها والتي تتفق والحس السليم المعبر عنها في المادة. وتكمن الصعوبة في أن أشكال الفهم المتفقة مع الحس السليم هي تحديدا التي تستوجب الفحص: إن التحليل يركز على كيفية قبول بعض العبارات بوصفها حقيقية أو "مطبعة"، وأخرى بوصفها غير ذلك. وبالتالي، يكون من المفيد أن يحاول المرء الابتعاد عن مادته وتخيل نفسه كأنثروبولوجي يستكشف عالماً أجنبياً من المعنى لكي يكتشف ما له معنى هناك.

ولكن هذا الاقتراح بلعب دور الأنثروبولوجي، يتعين النظر إليه فقط كمنطلق مفيد عوضاً عن كونه استجابة كاملة لمشكلة دور الباحث. فإذا ارتكز مشروع البحث على منظور بنائي اجتماعي، فإن مشكلة دور الباحث سوف تتعمق وتحتاج لتناول انعكاسي. وإذا قبلنا أن "الواقع" يتم خلقه اجتماعيا، وأن "الحقائق" آثار يتم إنتاجها خطابياً، وأن الذوات بلا مركز، فماذا نفعل بـ "الحقيقة" التي ننتجها بوصفها ذواتاً – باحثين؟ إنها مشكلة متأصلة في كل مقاربات البنائية الاجتماعية.

من بين المقاربات التي نقدمها، تكون مشكلة كيف نتعامل مع احتمالية الحقيقة هي الأكثر وثاقة في نظرية الخطاب عند لوكلاو وميف وعلم النفس الخطابي، وتحلها المقاربتان بطرق مختلفة. إن لوكلاو وميف يتجاهلان المشكلة بشكل كبير كون نظريتهما وتحليلهما يقدمان كما لو كانا وصفين موضوعيين للعالم وميكانيزماته. وفي المقابل، يحاول علم النفس الخطابي أن يأخذ بعين الاعتبار دور المحلل عبر أشكال مختلفة من الانعكاسية (انظر الفصلين الرابع والسادس). ولا يبدو المأزق للوهلة الأولى ملحاً بشكل كبير في الخطاب النقدي عند فيركليف بالمقارنة مع نظرية الخطاب عند لوكلاو وميف وعلم النفس الخطابي؛ لأنه يقيم تمييزاً بين الخطابات الأيديولوجية وغير الأيديولوجية: من ناحية المبدأ، يتعين على الباحث أن يمتلك القدرة على إنتاج خطابات غير أيديولوجية. ولكن المشكلة تعاود الظهور مع سؤال كيف نميز بين ما هو أيديولوجي وما هو ليس كذلك، وسؤال من الذي تحرر بشكل كاف من البناء الخطابي للعالم لكي يقيم هذا التمييز.

من الناحية الفلسفية، تبدو المشكلة غير قابلة للحل إذا قبلنا الأطروحة ضد التأسيسية التي تشكل جزءاً من أساس البنائية الاجتماعية التي ترى أن من شروط أي لغة هو كونها مجرد تمثيل واحد للعالم من بين تمثيلات أخرى كثيرة ممكنة. ويتخذ الباحث على الدوام موقعاً بالنسبة لحقل الدراسة، ويلعب الموقع دوراً في تحديد ما يمكن أن يراه وما يمكن أن يقدم كنتائج. وهناك دائماً مواقع أخرى بالنسبة لأي واقع يمكن أن يبدو مختلفاً. ولا يعني هذا أن كل نتائج البحث جيدة بالتساوي. وفي الفصل الرابع، نناقش من منطلق بنائي اجتماعي كيف يمكن التحقق من نتائج البحث ومن استيفائها –قدر الإمكان – لشرط

الشفافية بالنسبة للقارئ. إن التماسك النظري يقتضي عموما أن يدرس محللو الخطاب ويوضحوا موقفهم بالنسبة للخطابات الخاصة قيد البحث وأن يقيموا النتائج الممكنة لإسهامهم في الإنتاج الخطابي لعالمنا.

إن النسبية الكامنة في البنائية الاجتماعية لا تعني كذلك عدم قدرة المحلل على أن يكون نقدياً. إن كل مقارباتنا تعتبر نفسها نقدية، وسوف نناقش في الفصل السادس باستفاضة كيف يمكن ممارسة النقد الاجتماعي دون أن ندعي بلوغ الحقيقة المطلقة.

إن وضعنا باختصار هو أن الاستعمال الصارم للنظرية والمنهج هو الذي يضفي الشرعية بشكل علمي على المعرفة المنتجة. إن باستطاعتنا، من خلال رؤية العالم من منظور نظرية محددة، الابتعاد عن بعض أشكال الفهم المسلم بها وإخضاع مادتنا لأسئلة أخرى غير تلك التي يمكننا أن نطرحها من منظور يومي. ويمكن النظر إلى لفصول الثلاثة التالية بوصفها طرقا مختلفة لتحقيق هذه المسافة. وفي الفصل السادس، سوف نضع مناقشات المعرفة العلمية، والانعكاسية، والنقد داخل سياق الحقل الأوسع للبنائية الاجتماعية.

الهوامش

- هذه الدراسة ترجمة للفصل الأول من كتاب:

(Discourse Analysis as Theory and Method), S A G E Publications, London. Thousand Oaks New Delhi, First publishsed 2002, SAGE Publications Ltd.

1- ومع ذلك لا يغطي هذا الحقل كل استعمالات مصطلح "تحليل الخطاب". إن مصطلح "تحليل الخطاب" على سبيل المثال، يستعمل في اللسانيات ليشير إلى العلاقات بين الجمل والعبارات على المستوى الجزئي (مثلاً، براون brown ويول Yule 1983). لقد استخدم مصطلح تحليل الخطاب أيضاً للإشارة لطرق استعمال البشر للمخططات الذهنية لفهم الحكايات (van Dijk and Kintch 1983).

2- لبيان حول أشكال تحليل الخطاب عند فوكو، انظر، على سبيل المثال، (Howarth (2000) and Mills 1997).

3- انظر (Kellner 1995) ودعوته لـ "دراسات ثقافية متعددة المنظورات". وانظر الفصل الخامس في هذا الكتاب لمناقشة وتوضيح تحليل الخطاب متعدد المنظورات.

4- ما نطلق عليه "social constructionism" في هذا النص يطلق عليه في الكثير من الروابط الأخرى social constructivism". ونحن نستعمل مصطلح "social constructionism" لتفادي الخلط بينه وبين نظرية بياجيه البنائية constructivist theory. (انظر Burr 1995:2).

5- لمناقشة الأسس الفلسفية لمصطلح social constructionism انظر، على سبيل المثال، (Collin 1997).

6- إن هيمنة تحليل الخطاب معبر عنه في مقدمة بير Burr للبنائية الاجتماعية Burr social constructionism 1995)، التي تتألف فيها نماذجها للبحث الإمبريقي حصرياً، على سبيل المثال، من أشكال من تحليل الخطاب، على الرغم من تشديدها على أن البنائية الاجتماعية تستعمل أيضا مقاربات أخرى.

7- هنا، نستفيد أيضاً من بير (1995) وجيرجن (1985). ويرتكز بيان بير أيضاً، كما أشرنا من قبل، على بيان جيرجن.

8- تشمل كتب فوكو التي تنتمي للمرحلة الأركيولوجية تمثيلات أكثر تجريداً لنظريته وأدواته المنهجية (مثلاً، فوكر 1972) وتحليلات إمبريقية (مثلاً، فوكو، 1973، 1977).

9- النينو El Nino مصطلح استعمله الصيادون على سواحل بيرو والإكوادور للدلالة على تيار المحيط الدافئ وما يجلبه من أمطار غزيرة، وهو ظاهرة طبيعية تسبب اضطراباً في الحياة الطبيعية في المحيط الهادي.(م) ومع ذلك لا يغطي هذا الحقل كل استعمالات مصطلح "تحليل الخطاب". إن مصطلح "تحليل الخطاب" على سبيل المثال، يستعمل في اللسانيات ليشير إلى العلاقات بين الجمل والعبارات على المستوى الجزئي (مثلاً، براون brown ويول Yule 1983). لقد استخدم مصطلح تحليل الخطاب أيضا للإشارة لطرق استعمال البشر للمخططات الذهنية لفهم الحكايات (van Dijk and Kintch 1983).